تجربة السجن في شعر عبيداللّه بن الحر الجعفي

أ. م. د. آن تحسين محمود الجلبي
كلية الآداب / قسم اللغة العربية
جامعة الموصل

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

وجود الإنسان قائم على التنقل والترحال في الأرض الواسعة، فحياته في حركته، وانتهاؤه في سكونه، فإن كان الموت وقفاً نهائياً لإمكانية التحقق الإنساني، فالسجن وقف غير نهائي لإمكانية التحقق، والإنسان عندما يقبع خلف القضبان تُسلب حريته وتُفقد إرادته، فالسجن قدر تعلق الامر به مقبرة لأنه يعيش فيه وجوداً ناقصاً، ومن هنا عبر الشعراء عن تجربة السجن بمشاعر تختلط فيها أحاسيس الحياة بأحاسيس الموت. ولقد كان سجن الشعراء وأسرهم معروفاً منذ عصر ما قبل الإسلام، الا انه اتخذ طابعاً جديداً في عصر ما بعد الإسلام، ففي غياهب تلك السجون كانت فئة من الشعراء الذين عبروا عن تجربة السجن وعاشوا تفاصيلها، فكل بيت من شعرهم، هو (مشروع) ليحقق الشاعر من خلاله (أناه) خارج الموقف المحاصر.

و عُدَّ عبيدالله بن الحر الجعفي من ابرز الصعاليك الذين نشأوا في ظروف بيئية متقلبة، فهو من (الساخطين الثائرين) على الوضع العام، إذ كان فتاكاً ومقاتلاً وفارساً ومتمرداً، وظهر ذلك واضحاً في شعره، إذ فتح آفاقاً واسعة للدخول إلى معالم إبداعه الفكري والمضموني، لذا اتسمت أشعاره بالحديث عن الأحاسيس والمشاعر الفكرية والنفسية التي أسكنته بين جدران السجن و روح التمرد والشكوى ووصف للسجن وما تحمَّله من قيودٍ، و حنينه إلى حياته السابقة.

توطئة:

الحرية هي سر وجود الانسان، وهي اثمن شيء لديه، فحياته قائمة على التنقل والترحال في الارض الواسعة، واذا كان الموت وقفاً نهائياً لإمكان التحقق الانساني، فالسجن وقف غير نهائي لإمكان التحقق [١]. فكثيراً ما يقبع الانسان خلف قضبان تسلبه حريته وتفقده ارادته، فيُصبح و يُمسي ولا حول له ولا قوة [٢]، لأنه في ظل – تجربة السجن – يظل يشعر بأنه لا يزال موجوداً، ولا يزال يحس بالوجود، ولكن بفقدانه اهم عناصر الحياة، وهي الحرية، فانه يصبح عندئذٍ تحت وطأة مشاعر قاتلة، تفيض بالهموم والآلام، وتتسم بالبؤس وتشعره بوجوده المهدد.

والسجن للانسان قيد ثقيل ؛ لكونه يعيش فيه وجوداً ناقصاً اذ يُحرم من الحياة كما ينبغي، وكما يريد، فلا يقدر على صنع مصيره في حاضره ومستقبله. ومن هنا عبر الشعراء عن تجربة السجن بمشاعر تختلط فيها احاسيس الحياة بأحاسيس الموت، فكان عاملاً خطيراً يهدم ذاتهم الانسانية بوصفه يتسلط على اهم مقوماتها وهي الحرية [٣].

و عرف الجاهليون السجون في الامارات القائمة على اطراف الجزيرة العربية (المناذرة والغساسنة) وفي بعض الحواضر (مكة واليمن)، أما القبائل العربية فكانت بحكم طبيعة حياتها الاجتماعية، وحلها وترحالها، تعتمد الأسر لمدة زمنية محدودة، اذ لم تكن لديها سجون كما في الامارات والحواضر [٤].

وسجن الشعراء وأسرهم، كان معروفاً في العصر الجاهلي، والشاعر في سجنه يطلب السماح والرحمة والعفو من سيده، يمدحه ويكذب الوشاة ويهجوهم، ويصف ليالي الارق التي يعاني، والاغلال والقيود، ويطلب احياناً الخلاص عند الاصدقاء او يدركه الموت فيريحه [٥].

السجن لغة: بكسر السين موضع الحبس، وهو المحبس، وبفتح السين يعني الحبس نفسه[٦]. ويقصد به المنع والامساك [٧]. ويقال: (ليس شيء احق بطول سجنٍ من لسانٍ) [٨]،

والسجن مشتق من الحصر [٩]، لقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) [١٠] أي سجناً[١١]. ويسمى الحبس:المَخيس، واصله من التذليل [١٢].

والسجن اصطلاحاً: يقصد به المكان الذي تنفذ فيه الاحكام على الاشخاص المتهمين، وقد يكون السجن لغير ذنب كما لو كان لدين او تهمة او غيرها [١٣]. فهو احد وسائل الضبط والردع الاجتماعي الذي تتطلبه الحياة في أي مجتمع. وقد وجد لردع المخالفين للشرائع السماوية والخارجين على القوانين الوضعية التي وجدت لتحقيق الأمن والأمان [١٤].

السجن قبل الإسلام:

يبدو أن هناك صعوبة في تحديد الحقبة التي ظهرت فيها السجون واماكن وجودها، فشعوب العصور القديمة وحضاراتها، قد اتخذت عقوبات شديدة ضد الخارجين على القانون، فلجأت الى التعذيب مما ادى الى استخدام السجون بهدف منع السجناء من الهرب وتنفيذ الاحكام بحقهم [١٥]. ولم تكن في تلك الحقبة مبانٍ خاصة للسجون، بل كان يتم تخصيص قلاع وابراج قديمة وحصون، او قاعات وغرف ودهاليز لإيواء السجناء ومقابلة ذويهم فضلاً عن ان مدة حبسهم لم تكن معلومة، مما دفع بالعاملين على السجون الى الإكثار من القيود والسلاسل على المسجونين حتى لو كانت جنايتهم صغيرة [١٦]. وقد وجدت السجون في الدولة البيزنطية من اجل معاقبة المجرم في بعض الحالات الخاصة، كخروجه على العادات والتقاليد او تعديه على الحرمات، فضلاً عن الطرد السياسي الذي كان معروفاً لدى الروم وكان شائعاً لديهم. وكان يحبس في سجون الروم المعارضون للدولة بتهمة الخيانة [١٧]. فضلاً عن سجنهم الدعاة من تلامذة السيد المسيح الذين يسيرون لدعوة ملك الروم اذ كان وثنياً يعبد التماثيل والصور فكانوا يدعونه لعبادة الله الواحد الاحد، فحُبِس و ضُرِبَ اولئك الدعاة[١٨].

لقد كانت تلك السجون سلاحاً بيد ملوك الروم يستخدمونها ضد من يخالف أوامرهم ويحاول القيام بالتغيير لما فيه من ضياع لسلطتهم وحكمهم. واستخدموها لزج المعارضين والثوار وحتى الاقرباء، وقد رافق ذلك كله التعذيب والتصفية الجسدية لبعض السجناء لانهم كانوا يشكلون خطراً على السلطة آنذاك.

و توزعت السجون في انحاء الإمبراطورية المترامية الأطراف فضلاً عن استخدام الجزر النائية في بحر الشام (البحر المتوسط) منفى لمن يشكلون خطراً على الدولة [١٩].

وعرفت السجون لدى الفرس وعلى نطاق واسع، لاتساع مساحة الدولة وحاجتها اليها لضبط الامن وردع المخالفين والخارجين على النظام. ويبدو ان السجون في بلاد فارس كانت منيعة وحصينة وقد أدت الطبيعة دوراً هاماً وحيوياً في جعل هذه السجون اكثر منعة واستحكاماً [٢٠].

وقد كان لملوك الحيرة سجون وعُرِفَ منها سجن الصنين، وسجن التوبة، وكان لهذه السجون مشرفين مهمتهم المحافظة عليها، وتطبيق العقوبة على المساجين.ويبدو انها كانت على درجة من التنظيم وكانت معاملة السجناء تتسم بالقسوة واستخدام العنف. و تعرض الكثير من الشعراء الى السجن لدى ملوك الحيرة امثال الشاعر عدي بن زيد العبادي، وطرفة ابن العبد، والمنخل اليشكري فضلاً عن الكثير من السجناء من عامة الناس [٢١].

أما الغساسنة فكانوا على معرفة بالسجون وكان الملك الغساني له السلطة المطلقة في المعاقبة بالسجن، فضلاً عن امتلاكه حق اطلاق سراح من يريد اطلاقه من السجن، سواء كان بالمال أو الشفاعة، ويبدو ان السجون لدى الغساسنة كانت معدة مسبقاً لهذا الغرض [٢٢].

وعرفت شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام السجون، وكان سادة مكة يعاقبون المتهمين في منازلهم بعد تقييدهم بالاغلال، فلايستطيعون مغادرة اماكن حبسهم [٢٣].

وقد ورد ذكر السجن في القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنَّ نفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ {٣٢} قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ) [٢٤] اذ جاء بمعنى العقوبة عن الممتنع عن تنفيذ الاوامر وتحمل معنى الذل والاهانة، وجاء بمعنى التهديد في قوله تعالى: (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) [٢٥]، وفي الحديث الشريف، قال رسول الله (ص) (الدنيا

سجن المؤمن وجنة الكافر)[٢٦].وفي الحديث المرفوع (ان يوسف عليه السلام شكا الى الله تعالى طول الحبس فأوحى اليه انت حبست نفسك حيث قلت: ربِّ السجن احب الي مما يدعونني اليه). ولو قلت العافية احب الي لعوفيت. قال: وكتب يوسف عليه السلام على باب السجن: هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء) [٢٧].

وعلى الرغم من ان الحبس مشروع في الاسلام، الا انه لم يتخذ له مكاناً في زمن النبي (ص) ولافي زمن خليفته الاول ابي بكر الصديق (رض)، ولا يوجد مكان يتخذ للحبس في بدء الاسلام، بل كان السجين يوضع احياناً في موضع من اطراف المسجد النبوي الشريف، ليتأثر بالدروس والتوجيهات التي كانت تلقى على اسماع الناس صباحاً مساءً [٢٨].

و عمر بن الخطاب (رض) ابتاع في عهده بمكة داراً من صفوان بن أمية بأربعة الاف درهم، وخصصها لهذا الغرض فكانت أول سجن في الإسلام.وقد ثبت عن عمر انه سجن الحطيئة على الهجو، وسجن عثمان (رض) صابيء بن ابي الحرث، وكان من لصوص بني تميم وفتاكهم حتى مات في السجن [٢٩].واول من بنى سجناً هو الامام علي بن ابي طالب (رض) لما شهدته البلاد من الاضطرابات والقلاقل، فانه بنى سجناً سماه (نافعاً) وآخر سماه (المخيس)[٣٠]. والواقع ان السجن وان كان اسلم العقوبات فقد تأول بعضهم قوله تعالى: (إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[٣١].

ان السجن من العقوبات المؤثرة لكونه سبحانه وتعالى قرنه بالعذاب الأليم.وقد عد يوسف (عليه السلام) الانطلاق من السجن إحساناً [٣٢]في قوله (وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ)[٣٣].

وثمة سجون معدة لسجن الشخصيات المعروفة في الدولة من امراء وقواد وعلماء، وان هناك سجوناً اخرى معدة للمجرمين لم تكن غير آبار او سراديب ضيقة او حفر عميقة.كما ان بعض الخلفاء والقواد كانوا يهيئون سجوناً في قصورهم فقد هيأ سعد بن ابي وقاص حبساً في قصره (العُذيب) لابي محجن الثقفي.والظاهر ان السجون الاسلامية لم تكن متينة البنيان او

شديدة الحراسة والرقابة فاننا نجد حوادث عدة لكسر ابواب السجون او ثقب السجن وهرب المسجونين وتعدى ذلك الى قتل السجان نفسه.

كما جرى تقييد السجناء بانواع من السلاسل والقيود والأغلال التي تختلف شدة ونوعاً[٣٤].

وفي عهد بني امية فقد شهدت مدة حكمهم اهتماماً كبيراً بالسجون، نظراً لاضطرابات الاوضاع الداخلية اوعدم الاستقرار.فنجد معاوية بن ابي سفيان اول من اتخذ الحرس، واقامة المقاصير في المساجد لحمايته. ويعد معاوية اول من اتخذ السجون بمعناها المعروف، وخصص الحرس لحراسة السجناء والمتهمين [٣٥].

و اهتم خلفاء بني أمية بالسجون لأنها تعد مؤسسات اجتماعية مهمة لدولتهم ولا يمكن الاستغناء عنها بأي حال من الاحوال، كما لم تقتصر سجون بني أمية على الرجال وحدهم، بل شملت النساء، وتعددت هذه السجون في دولتهم بين العاصمة والاطراف لدرجة أن اختلفت معاملة الخلفاء الامويين وولاتهم للسجناء [٣٦].

والسجون مهما تعددت اشكالها وانواعها واسبابها فهي تعد فضاءً ضيقاً مغلقاً مكبحاً للروح والجسد على حد سواء.وفي غياهب تلك السجون كانت فئة من الشعراء الذين عبروا عن تجربة السجن والتعذيب وعاشوا في ظل الارهاب والمطاردة والحصار، ونتاجهم الادبي يعكس ظاهرة القمع، ويسجل تجربة السجن والمعاناة والرعب [٣٧].فعملية الابداع داخل السجن، هي محاولات لنسف (المكان)وفتق حدوده، وتجاوزها، فكل بيت من الشعر يتغنى به الشاعر، إنما هو (مشروع) يحقق من خلاله (انا) خارج الموقف المحاصر، فالمواقف السالفة وتذكرها في عملية استشراف واطلالة.ففضاء السجن يحتوي الموقف الفني ويوجهه، ويبعث فيه شروط الابداع المختلفة، ويمكنه من الهدأة، فتكتسب اللغة فيها طابعاً خاصاً، تتأرجح دلالتها بين قطبين:قطب الداخل / الخارج، قطب الحقيقة / الرمز.

فالداخل والخارج سيان في كل ذات، سواء كانت نزيلة في ضيق المكان (السجن) ام خارجه، نزيلة وضع يتسلط فيه الآخر على جميع الحريات، فالمكان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الحرية، والحرية في اكثر صورها بدائية، هي حرية الحركة، فالعلاقة بين الانسان والمكان هي علاقة جدلية بين المكان والحرية.فضلاً عن ذلك فللسجن زمنه الخاص الذي يتخلل الذات المسجونة، ويطبعها بحركته شبه الراكدة والتي من شأنها تبليد الاحساس، وقتل المبادرة، واخماد الثورة.بيد ان هذا الزمن (الدائري) يتيح شيئاً من الانفراج والانفتاح، فيفسح صورة للتأمل والمراجعة.وبذلك ينتفي وجوده (المادي) حاجزاً، ليسكن منطقة بين الواقع واللاواقع، بين الوجود واللاوجود، بين السماء والارض، بين الحياة والموت. انه هنا وهناك في ذات الان.فالسجن، وان تحقق مكانياً، حيزاً للقهر والحجر، فانه زمنياً تعطيل لسيرورة الحياة..حياة فرد معين، انه إقصاء مكاني، وإقصاء زماني [٣٨].

والمكان يتشكل باللغة وفي فضاء اللغة التي تشكل التصورات التي تتشابك وتتقاطع لتحدد الرؤية تجاه العالم، فلا كينونة للمكان بعيداً عن علامات اللغة، فالمكان كائن صامت يلج اللغة بفراغه واشيائه ليتحدث من خلالها، فالكائن الانساني يكمن للمكان بشباك اللغة، وهو بذلك يمنحه لساناً ولغة، وعليه تعد اللغة الوسط الذي يستيقظ فيه المكان من غفوته الابدية –ليتحدد ويتمفصل ويحتاز على كينونته و وجوده الفني [٣٩].

فاللغة وهي اداة الشاعر تصف هذا المكان الضيق المعتم، التحتي الخفي، شبه المغلق الذي يكون بالداخل، فهو يعادل قوى العالم السفلي، ويرتبط بمخاوف الاعماق، وخشية تسرب جمرة اليقين، وتبدد التشبث بجدوى الحلم بالذهاب الى الوطن.فحركة السجن المقيدة المحاطة بالمخاوف، كأنها جنون مدفون او مأساة مسورة بالجدران [٤٠].لقد تحول هذا المكان بضيقه وعتمته وسكونه الى شيء كئيب مقيت جعل الشاعر ميتاً وهو حي، ولكن لا يعدم الامل في تجربة السجن والخروج مرة اخرى الى العالم الخارجي فتلك الامنية تتردد في شعر السجون تفاؤلاً، على الرغم من ظلامات السجن واثقال الحديد [٤١].

و تعرض قسم من شعراء الجاهلية والإسلام لعقوبة السجن والأسر، وجاء على ألسُنِ هؤلاء كثير من الشعر الرائع في وصف السجون، وتصور اوضاعها و مكارهها، وفي التعبير عما يخالج نفوسهم من احاسيس وتأملات وصور [٤٢].

ولقد كان السجن حقاً من اهم التهديدات التي واجهها بعض الشعراء في حياتهم وبخاصة الشعراء الصعاليك.فقد ارقهم وقضَّ مضاجعهم، وجعلهم يلوذون بالصحراء هرباً بحرياتهم، مؤثرين مخالطة الوحوش والحيوانات البرية بعيداً عن اهلهم وغيرهم من الناس لكي تبقى لهم حريتهم التي تعني وجودهم الحقيقي [٤٣].

حياته:

هو عبيدالله بن الحر بن عمرو بن خالد بن المجمع بن مالك بن عوف بن حريم بن جعفى بن سعد العشيرة، وهو من بني مُذحِج، ولد بالكوفة ونشأ فيها ، الشاعر الفاتك كما نعته ابن حزم [٤٤]، الشجاع الفاتك كما وصفه البلاذري [٤٥].وهو ممن اشتهروا بالفتك في الإسلام كما ذهب اسامة بن منقذ [٤٦].كان عثمانياً، خرج من الكوفة الى معاوية وشهد معه صفين.وتزوج كبشة بنت مالك وكان يقال لها الدرداء [٤٧]، وله اولاد ثلاثة هم: صدقة ووبرة والاسقر شهدوا الجماجم مع ابن الاشعث، ولم نجد لهم ذكراً في حياته، ويكنى زوجته في بعض قصائده بأم توبة كما تعرف بأم سلمة وهي بنت عبدة بن الحليق الجعفية [٤٨].كان في صدر شبابه من افضل قومه صلاحاً وصلاة واجتهاداً واجتناباً للفواحش، وكان من شجعانهم وفرسانهم المعدودين.وكان رجلاً لا يعطي للامراء طاعة، حريصاً على ان يستقل بأمره، صار مع معاوية بن ابي سفيان، فلم يرض فرديته ومنهجيته فانحاز الى العراق، ولم يدخل في الصراع بينه وبين علي، سأله الحسين مناصرته قبيل كربلاء فأبى ان يعينه ونصحه بالعودة ثم ندم على تقصيره في القتال معه، رفض مبايعة المختار، وطلبه ابن زياد، فامتنع بمكان على شاطيء الفرات والتف حوله جمع، ثم ساعد مصعب بن الزبير الذي خاف ان ينقلب عليه فحبسه ثم شفع له واطلقه، فحقدها ابن الحر، وراح يقاتل مصعباً الى ان قتل سنة ٦٨هـ.ويرى الطبري انه ما كان في الارض

عربي أغير على حرة، ولا اكف عن قبيح وعن شراب منه [٤٩].ويذهب الجاحظ الى ان الناس قد ضربوا المثل بعبيدالله في اثر الحظ في نباهة الفرسان، بل انه ينظر اليه على انه رمز ومثل اعلى للفروسية، والبطولة الخارقة، حيث يقول:[٥٠]

" وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية في الشهرة، ولايرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو اولى بذلك منه، الا ترى ان العامة ابن القرية عندهم اشهر في الخطابة من سحبان وائل، وعبيدالله بن الحر اذكر عندهم في الفروسية من زهير بن ذؤيب، وكذلك مذهبهم في عنترة بن شداد وعتبة بن الحارث بن شهاب ".

كان اشبه بفرسان الملاحم وابطال الخوارق لذا اشتهر وعرف عنه انه من فتاك الاسلام.ويعد من اشعر الفتيان، ففي شعره تتجلى اهم مظاهر شخصية الفارس، الحامي حقائق قومه، الباسل في المعارك، فشعره جزء من شخصيته، وهو وسيلته الفنية للتعبير عن رفضه الواقع السياسي والاجتماعي في عصره. فضلاً عن كون شعره يحدد الرؤية الفنية والادبية لمرحلة عصيبة من تاريخ مجتمعنا العربي الاسلامي، شهدت احداثاً جساماً، منها قيام (العصاة) او (الفتاك) كما اسمتهم السلطة في ذلك الوقت، اذ وقف هؤلاء في وجه النظام الحاكم، واسهموا في القلاقل السياسية والصراعات المذهبية، والازمات الاقتصادية، والفتن الداخلية، وهي الظواهر الكبرى التي رافقت وجود ابن الحر ابان الحقبة الاموية من الخلافة الاسلامية [٥١].مثَّل الشاعر الرفض لكل ما هو قائم، فضلاً عن تأثير الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري الذي جابه التفاوت في حياة الناس بين الحكم وبطانته وفئات الشعب الكادحة الامر الذي حرك في الناس المشاعر، ومن ثم المواقف نحو السلطة الحاكمة، ففي ثورة ابي ذر الغفاري على الظلم تبشير بأخلاق تتجاوز الفضيلة الى ما هو اشمل منها واعلى [٥٢].فقد كانت افكار ابي ذر واضحة في نهج ابن الحر وشعره و إن لم يذكرها صراحة، فهو يدعو الى العدالة في توزيع الثروة، والمساواة في الحقوق، بل يقوم بتحقيقها بالفعل الثوري، وبذلك رفض الراهن، وتطلع الى ما هو افضل، واشد اكتمالاً وكمالاً، حتى ليعد سلوك ابن الحر قاعدة نظام سياسي يوحد بين النظر والممارسة العملية[٥٣].

لقد عاش ابن الحر رهين الصراع بين البطولة المنتصرة، والآم الحسرة، فكان شجاعاً قوياً صادقاً في كلا الموقفين.وكذلك تتجلى شاعريته وتبرز مواقفه في عزفه انغاماً شعرية اخرى تناولت المديح والهجاء والعتاب، وايامه ومعاركه، والسجن، والمرأة، والحكمة، وكلها اشعار مرتبطة بشخصية الشاعر البطل الذي لا يقهره قيد او سجن.وحتى عندما جاءه الموت ولم يجد منه بداً، عندما تظاهر عليه (مصعب) و (المهلب بن ابي صفرة) ولم يظفروا به، فألقى بنفسه في الماء غير مستسلم وجراحه تشخب دماً. وبذلك طويت صفحة رجل متمرد طبعاً وجبلة، ينفر من اية سلطة، وينفلت من أي نظام، لمنافاته لطبيعته المتعشقة للحرية وللانفلات في الارض، انها النفس المفطورة على التفرد والاستقلال، وهي نفس بطولية نادرة النظير، لو وضعتها الاقدار على رأس جيش نظامي لكان لصاحبها شأن اخر لما عرف عنه من البأس والإقدام والنفس الطويل في الحرب [٥٤].

انه كان طموحاً محباً للرئاسة، فلما رأى تمزق الامة واختلافها وتصارع احزابها على الحكم، استقر في نفسه انه ليس اقل شأناً وخطراً من زعماء الاحزاب الاخرى، فجمع صعاليكه وكون لنفسه حزباً منهم، واخذ يغير بهم على ولايات الدولة ويفتك بعمالها ويستولي عليها بعض الوقت [٥٥].

تجربة السجن في شعره:

عدَّ عبيدالله بن الحر الجعفي من الصعاليك السياسيين، فقد أنشأته الظروف السياسية والاقتصادية المتقلبة، لذا عدَّ من " الساخطين الثائرين " [٥٦] تلك الفئة التي تسعى للقضاء على الحكم الاموي بمناصبة العداء لعمال الخلافة وولاتها. فهو لم يكن صعلوكاً او لصاً بل فاتكاً ومقاتلاً فارساً ومتمرداً، وظهر ذلك واضحاً في شعره الذي فتح افاقاً واسعة للدخول الى معالم ابداعه الفكري والمضموني.

واتخذت القصيدة لديه اتجاهاً يغاير ما سارت عليه القصيدة التقليدية من حيث الموضوع والمنحى النفسي، فالابداع والبراعة والابتكار في شعر عبيدالله لم تكن تكمن كلها في

الظاهر من احاديثه، وما وصفه من احواله –في اشعاره – من خلالها، وفي اغراقه في ايراد التفاصيل الخارجية الظاهرة والمباشرة منها، بل تكمن في مواقفه الفكرية والنفسية البعيدة الغور في اعماقه، التي تشكل الاسباب والدوافع الحقيقية لاكثاره من الحديث عنها، والاغراق في وصفه لتفاصيلها، لا بل حتى دقائقها الصغيرها، في احيان كثيرة (٥٧).

لقد كان نصه الشعري سرداً لسيرة بطل يصارع من اجل اثبات وجوده وتحقيق كينونته على الرغم من محنة السجن التي جعلته مقيد الحركة وسليب الحرية، فهي فعل اغتراب زمكاني لذا اكثر الشاعر من وصف معاناته في ذلك المكان المقيد (السجن) فقدم من خلاله رؤىً، وهموماً، ومشكلات، وحلولاً (٥٨).

لقد كانت تجربة السجن من التتجارب الجديدة التي طرحها الشعراء في العصر الاموي، ولاسيما الشعراء الصعاليك الذين تعرضوا اكثر من غيرهم لهذه التجربة، فارتبط هذا الموضوع الشعري بالاحداث السياسية وبحركة الصعلكة وبالتمرد والثورة على النظام القائم.

ان نص الصعلكة يتضمن نسقين: نسقاً ظاهراً يثير دهشة المتلقي بمغامراته، وتأملاته الخاصة الفلسفية في الحياة، وموقفه الخاص من مسألتي الحق والصواب، واساليبه في صنع نسقه الخاص به ونسقاً مضمراً يتضاد مع النسق الظاهر، فالشاعر في ظاهره يعاني الم السجن وعذابه، لانه خارج على النظام، اما النسق المضمر فهو يحمل نقداً لاذعاً للسلطة التي لم تراعِ حاجات الافراد، فدفعتهم الى امتهان الصعلكة (٥٩).

المكان:

ويظهر المكان بوصفه ثيمة رئيسة في تشكيل التجربة الشعرية عند عبيدالله بن الحر الجعفي.فهو مكان نوعي له سياقاته الحلمية في تشكيل المشهد والنص، فالسجن يحمل دلالات تحددها السياقات الشعرية داخل النص، ففيه تجتمع ثنائية المظلم والمضيء، والسجن بظلامه تقترن به دلالات عدة منها المجهول، والخوف، والقيد، والبرودة، والجوع، والقلق، والوحدة، والهبوط، والموت، والعدم) وكل هذه الدلالات ترتبط ببعضها مشكلة (الفضاء المظلم) في رؤية الشاعر (٦٠).

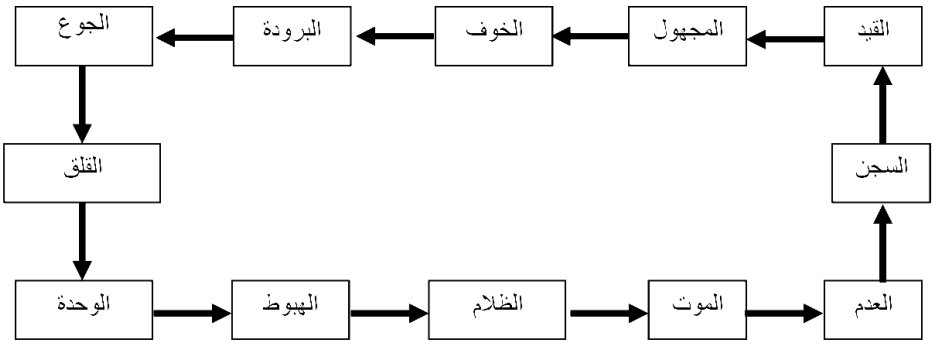

في حين تمثل تجربة الشاعر وتحديه للسلطة واصراره على مواجهة العدم بـ(المضيء) الذي يسعى الشاعر الى تحقيقه قبل سجنه واثنائه وربما بعده، فالمضيء يعني النور وهو مرتبط بدلالات عدة منها: الوضوح والحركة والنفاذ والانتشار والدفء والحرارة والتآلف والمودة والحياة والوجود، وقد ينبثق هذا المضيء احياناً من جوهر مظلم مشكلاً بذلك جدلاً ما بين المظلم والمضيء (٦١).

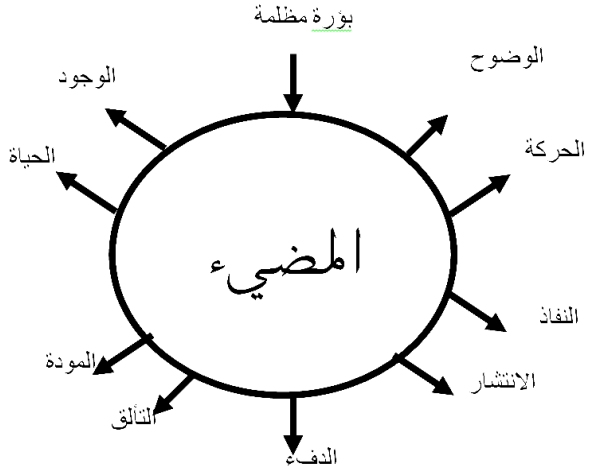

ان الفضاء المظلم الذي يشكل تجربة السجن عند (عبيدالله) مليء بالغموض والحيرة والقلق، فيقول: (٦٢)

مَـــنْ مُبلِـــغُ الفتيـــان أن أخـــاهمُ أتـــى دونـــهُ بـــابٌ منيـــعٌ وحاجبُـــهْ

بمنزلـــةٍ مـــا كـــان يرضـــى بِمثلِهـــا اذا قـــــام عَنتُـــــهُ كبـــــولٌ تُجاوبُـــــهْ

علـى السـاقِ فـوقَ الكعـبِ اسـودُ صـامتٌ شـــــديدٌ يُـــــداني خطـــــوهُ ويُقاربُـــــهْ

فالشـاعر إذ يوجـه خطابـه الـى الأخـر متمـثلاً (جماعـة الفتيـان) فانـه يحـاول تصـوير احساسه بالظلمة والوحدة والبرودة والغربة وفقدان الالفة، لكنه بجانب ذلك كان يصور بطولته وإباءه، فالذات تتفاعل مابين الانغلاق على نفسها في عالم حلمها او تستحضر ما حفر عليها من ذكريات لمعايشتها ثانية [٦٣]. ان الشاعر يحاول انتشال الذات من الانغلاق المفعم بالتفكير والاوهام، واخراجها من المغلق الى خارج يؤلف فضاءه المتخيل المشحون ببعدي – الذاكرة والحلم – في آن معاً.ذكرى الالم وتوقع الموت الملوح، فـ (الفتيان) هم صورة الشاعر البطل في إقدامه ورفضه وتحديه، لكن (الباب) يمثل:الظلام والعدم والقدر، فثورة الشاعر الذاتية متفتحة نحو الخارج ومستمدة من (الباب الموصد)، فالباب هنا قناة الايصال مابين المغلق والمفتوح، فثمة عالم (الفتيان) المفتوح وعالم (السجن) المغلق، وعلى الرغم من اقتران الباب بالعالم المفتوح بيد انه يبقى على صلة وثيقة بالعالم المغلق (السجن) [٦٤]، فالشاعر يتوجه نحو الباب ليتمكن من الخروج واكتساب مصيره الجديد (الخارجي).ولكن الباب لم يكن العائق الوحيد امام الشاعر، بل هناك (الحاجب) حارس الباب الذي شكَّل في نظر الشاعر قيداً، فالحارس هو ظل الباب وهو باب السجن المنيع، فضلاً عن المكان والمنزلة التي حلَّ فيها والضيق الذي يحس به نتيجة للاصفاد والكبول التي قيدت حركته بل انها تجاوبه بالرفض والمنع اذا حاول القيام والحركة، فجعل جوابها غناءً لانها تصدر الصوت نفسه وبترانيم متشابهة فكأنها تعبر عن احساسه بشدة الالم والحزن والقهر الذي يشعر به، فضلاً عن حرف (الهاء) الذي تنتهي به الابيات والذي يمثل آهات الشاعر وحسراته لما حل به من ذل وخنوع وقيود تلازمه في ليله ونهاره، بل ان الزمن عنده اصبح مقيداً لان المكان مقيد بل حتى قدميه اللتين تطوقهما القيود السوداء لكثرة استخدامها ولما تمثله من شدة الظلم فأصبحت صامتة خرساء لاتنطق بالظلم والالم بل اصبح لونها (الاسود) بديلاً عنها في استنطاق ذلك.

لم يكن السجن مكاناً للحبس الجسدي فحسب، بل كان مكاناً للحبس الروحي، انه السكون وعدم الحركة، انه الزمن واللازمن، فزمن الشاعر متوقف داخل السجن، والمكان ثابت، فهو مكان اللامكان، انه الاحساس بالعدم والتلاشي والانهيار.لكن ذلك الاحساس لم يلازمه طويلاً فهو يحاول الاستغاثة بأصحابه (الفتيان) وابلاغهم بحاله وطلب مساعدتهم في تحريره فهو الفاتك الشجاع الذي لن يرضى بهذه المكانة التي حلَّ بها، ولعل قوله ذلك فيه نوع من الجدة التي ادخلها الشاعر على موضوعة السجن في الشعر الاموي.

ويبدو ان السجن بكونه مكاناً تختفي فيه الحياة، ويتوقف فيه الزمن، فهو كذلك يمثل قيداً على رغبات الشاعر وطوحاته، لذا مثلت له هذه الحقبة الزمنية عبرة لباقي ايامه، ففي غياهب السجن قيود تكبل قدميه، وتحد من حركته، وتستلب حريته، وتعطل قدرته على الفعل، واحساسه بالعجز والخوف وتوقع الشر فمصيره اصبح مرهوناً بسجانه ووجوده يتحكم فيه (حارس الباب):[٦٥]

وفي الدَّهرِ والأيامِ للمرءِ عَبرةٌ وفيما مضى إن نابَ يوماً نوائبُهْ

دعاني اليهِ مُصعَبُ فأجبتُهُ نهاري وليلي كُلهُ أنا دائبُهْ

أروحُ واغدو دائماً وكأنما أُبادرُ غُنماً في الحياةِ اناهِبُهْ

فكان حِبائي إذ أُنختُ ببابهِ حجولٌ واحراسٌ وصعبٌ مراتبُهْ

ويستوقفنا شعره اذ يتحد فيه القول بالفعل، فالبطل الفارس بقي على صورته حتى داخل سجنه الذي هو موطن العبودية، قد حد السجن فاعلية المقاتل، حركته، وسلبه حريته.لكنه اثار فيه الثبات والعزم والحزم، وتحدي صروف الدهر ونوائب الايام، ومدعاة للجلد والتحمل، فتنطلق من اعماقه صرخة التحدي والوعيد والتهديد بالانتقام من الجلادين والظالمين والجائرين:[٦٦]

لنِعمَ ابنُ أُختِ القومِ يسجنُ مصعبٌ لطارقِ ليلٍ خائفٍ ولنازلِ

ونِعــمَ الفتــى يــا ابــن الزُّبيــر سَــجنتَهُمُ اذا قلقــت يومــاً صــقورُ الرَّحائــلِ
فلــو مُــتُّ فــي قــومي ولــم آت عجــزةٌ يُضــعِفُني فيهــا امــرؤٌ غيــرُ عــادلِ
لأَكــرِمْ بهــا مــن ميتــةٍ إنْ لقيتهــا أُطــاعنُ فيهــا كــلَّ خــرقٍ منــازلِ

لقد مثل السجن لـ (عبيدالله) مكاناً للتحدي، فيثير نسقي الزمان والمكان ؛ لاظهار موقفه من مضامينها، وليأخذ من عامل الاثارة وسيلة لاثبات مركزية الانسان الايجابي الفاعل.فهو يخشى ان يموت حتف انفه في السجن، وهو لم يكمل رسالته ولما يحقق هدفه وطموحه، فالانسان الفاعل في نظره لايموت الا تحت ظلال السيوف، وهو يشير من سجنه (مكانه المقيد) الى تحديه وتصديه لكل من يتضاد مع افقه، ومن خلال القيم التي يقدمها الشاعر يشكل وظيفة جمالية ينقذ من خلال الاخر، ويعلي من شأن الذات المتضادة.(٦٧)

ويبدو ان السجن وما اثار فيه من شعور بالتحدي جعله يتمركز حول ذاته فيرى نفسه المحور فتصاعدت لديه الـ (انا) التي ظهرت في شعره كثيراً، فهو في صراع بين الداخل والخارج، بين المطلق والمقيد، والوجود والعدم، لكنه بالرغم من ذلك يشعر ان شمس الحرية تأبى الا ان تستمر في الظهور وتقاوم الغياب وترفضه: (٦٨)

فلم أرَ يوماً مثلَ يومٍ شهدته أبت شمسُهُ مع غيمهِ أن تَغيبا

الحكمة:

ان قسوة الحياة ومرارتها، والسجن وعبوديته واستلابه لحرية الشاعر وتراوحه بين الحب والحرب، والاقدام والاحجام، والحركة والسكون، والشجاعة والبطولة والفتك، ذلك كله شكل شخصية (ابن الحر) الاسطورية التاريخية والادبية، فالظلم والظلام الذي عاشه خارج السجن وداخله جعله متأملاً في الكون وما حوله، فرفض الاستسلام والخضوع للظالم، وآمن أن الحياة تجمع في ثناياها المتضادات: الخير والشر، النعيم والشدة، الامن والخوف، الفرح والحزن، والحرية والعبودية، وهو يؤمن انه ليس ثمة شر دائم ولاخير دائم، بل هي مداولة

بينهما، و ذلك كله تحول في شعره الى خطرات تنطق بالحكمة وتشير الى عمق رؤيته واستشرافه للمستقبل، فهو يرى مالايراه غيره، ويدرك ما لايدركه غيره، فيقول: (٦٩)

فلا تحسبنَّ الخيرَ لاشرَّ بَعده ولا الشرَّ سُرجوجاً على من ترتَبا

ولكن خليطاً من نعيمٍ وشدةٍ فإنْ يأتِ خيرٌ فاخشَ شراً مُعقبا

فالدنيا في نظره ورؤيته يومان: يوم رخاءٍ ونعيم، ويوم شقاءٍ وبؤس، والعارف هو الذي يحاذر من خيرها لانه يعلم ان لابد من شر بعده، ويواجه شرها لان النعيم بعده، فيقول:(٧٠)

حلبتُ خلوفَ الدهر كهلاً ويافعاً وجربتُ حتى أحكمتني التجاربُ

انه مسكون بهاجس القفز فوق الزمن، فقد جرب الحياة بكل اشكالها وفي كل مراحلها، فلم يجد امامه الا الجدران الصلبة والاغتراب والوحدة، لذا حاول ان يهدم كل ذلك ويتجاوزه بحكمته: (٧١)

لم يَجعلَ اللهَ قلبي حينَ ينزل بيْ همّ تضيقني ضيقاً ولا حَرَجا

ما انزلَ الله بي امراً فأكرهُه الا سيجعلُ لي من بعده فرجا

وتتضح هنا رؤيته الايمانية لقدره ويقينه إن كلَّ ضيق وهم لابد من فرج يأتي به الله بعده، فالهم والحزن لايثنيانه عن اصراره في التقدم ومواجهة الظلم، فهو على يقين بأنه يسير في طريق الخلاص والتحرر والنجاة له ولكل من يشاركه هذا الاحساس بالظلم والقهر، فالرجل الكريم هو الذي ينتفع ويتعلم من تجاربه ومصائبه: (٧٢)

فحسبُكَ قد جرَّبتني وبكوتني وقد تنفعُ المرءَ الكريمَ التجاربُ

فنراه يصف نفسه بـ(الكريم) وهي من الصفات العربية المحمودة لما تشتمل عليه هذه الصفة من معاني الكرم والجود والمروءة والشجاعة والغيرة والعطاء والكرامة، انه يحاول ان يواجه الموت والعدم بهذه الصفات فهي التي تخلده وهي التي تقاوم هذا العدم وتتحداه،

فالاصرار على فعل الخير هو امتداد للعطاء والذكر حتى بعد الممات، والشجاعة والبطولة هي اثبات للقوة وتحقيق للذات والمصير: (٧٣)

فابسط يديكَ فإن الخيرَ مُبتدرٌ علياءه، وجدود القومِ تصطرعُ

انه يصنع عالمه الرافض لكل اشكال العدم والعبودية والاستلاب والظلم، فـ(انا) الشاعر تواجه (انا) الاخر، وتتحداه وتخرج عنه، فهو في تضاد مع المجتمع وعدم توافق، بل انه اختار تحولاً في فضاءه الزمكاني لانه تحول في رؤيته الفكرية والثقافية، فرفض الخضوع لسيطرة النسق المكاني واختار الانطلاق في الصحراء والتصعلك بحثاً عن الحرية والامل والامان: (٧٤)

وما أنا إنْ حلأتُموني بواردٍ ... على كدرٍ قد غُصَّ بالصَفوِ شاربُهْ

وما لأمرئ إلا الذي اللهُ سائقٌ ... إليه وما قد خَطَّ في الزُبرِ كاتبُهْ

فمهما كثرت المصاعب والالام الا انه لايرضى الا بالمجد والعلا، فهو لايمكن ان يرد الماء الا صافياً لان كل شيء مقدر ومكتوب في الزبر، فالانسان لايخرج عن قدره ومصيره، فرزقه وعمره واجله معلوم، فنرى الشاعر هنا ينطلق في حكمته من رؤية ايمانية بالغة وعميقة الاثر تدل على مدى يقينه وصدق ايمانه.

المرأة:

يضفي الحضور الانثوي في تجربة الشاعر قيمة جمالية ولاستمرار الحياة، فهي بنية نسقية ثابتة كما ان الشاعر بنية نسقية ثابتة، ففي السجن تدخل المرأة في ثنائية الحضور / الغياب، ويستحضرها الشاعر في حال حلم، لكنها غائبة، وهذا الغياب كفيل بتحريك نوازع الشوق لديه.فالشاعر يهرب من حدود المكان المقيد بالذكرى، لان فيه سلب مكاني للمرأة، فالشاعر سجين الذكرى والمكان (٧٥)، ولكن المرأة هنا في تجربة الشاعر هي (السجينة) وهي المستلبة الحرية، فكأن (ابن الحر) هو السجين، وكأن حياته قد سلبت وحريته قد قيدت وشجاعته قد اسرت، فالمرأة عنده هي الحقيقة التي يدافع عنها، وهي الحق الذي يطلبه، وهي

الوطن الذي يريد ان يحرره، وهي السعادة التي يسعى لنشدانها، والامان الذي يحلم به، اذ يقول: (٧٦)

ألـــم تَعلمـــي يـــا أم توبـــةَ أننـــي أنـــا الفـــارس الحـــامي حقـــائق مَـــذحجِ
وأنـي صـبحتُ السـجن فـي رونـق الضـحى بكـــلِّ فتـــى حـــامي الـــذمار مُـــدججِ
فمـــا إنْ برحنـــا الســـجنَ حتـــى بَـــدا لنـــا جَبـــينٌ كقـــرنِ الشـــمسِ غيـــرُ مُشـــنجِ
وخـــدُّ أســـيل مـــن فتـــاةٍ حييـــةٍ ألا فســـقاها كـــلُّ مُـــزنٍ مُـــبعجِ
فمـــا العـــيشُ إلا أن أزورك خاليـــاً كعادتنـــا مـــن قبـــلِ حربـــي ومُخرِجـــي
ومـــا أنـــتِ إلا مُنيـــة الـــنفس والهـــوى عليـــكِ ســـلامٌ مـــن حبيـــبٍ مُســـحجِ
ومازِلـــتُ محزونـــاً بِحبـــكِ واجمـــاً وانـــي لمـــا تلقـــين مـــن بَعـــدهِ شـــجي
فبـــالله هـــل ابصـــرتِ مثلـــي فارســـاً وقـــد ولجـــوا عليـــك مـــن كـــلِّ مَـــولجِ
وَمثلـــي حـــاميَ دونَ مثلـــكِ إننـــي أشَـــدُّ اذا مـــا غمـــرةٌ لـــم تُفـــرجِ
أضـــاربُهُم بالســـيفِ عنـــكِ لترجعـــي الـــى الأمـــنِ والعـــيشِ الرفيـــعِ المُخـــرفجِ
اذا مـــا احـــاطوني كـــررتُ علـــيهم ككـــر أبـــي شـــبلتن فـــي الخـــيس مُحـــرجِ
دعـــوتُ الـــيَّ الشـــاكري ابـــن كامـــلٍ فـــولى حثيثـــاً ركضـــهُ لـــم يُعـــرجِ
ولـــو يـــدَعني باســـمي كـــررت علـــيهم خيـــولَ كـــرام الضـــربِ اكثرُهـــا الـــوجي
ولاغـــرَ إلا قـــول ســـلمى ظعينـــي أمـــا انـــتَ يـــاابن الحُـــرِّ بـــالمتحرجِ
دَعِ القـــومَ لاتقـــتلُهم وانـــجُ ســـالماً وشـــمر هـــداك الله بالخيـــل واخـــرجِ
وانـــي لأَرجـــو ياابنـــة الخيـــرِ أن ارى علـــى خيـــر احـــوالِ المُؤمـــل فـــارتجي

تبرز هنا (أنا) الشاعر الفارس الغيور والبطل الشجاع متحدياً كل القيود ومقاوماً لكل انواع القهر ومواجهاً الاعداء في معركة ضارية يصورها وكأننا نشاهدها ونرصد احداثها، فهو المقتحم الجسور للسجون ومحرر زوجته ومن معها من سجن (المختار)، فهو الحامي الذي لايقبل ذلاً او هواناً، وهو الغيور على شرفه واهله وارضه، فهو اذ حرر ام (توبة) فهو قد حرر ارضه من اعدائها الذين يظلمونها وهي اذ بدت له كـ(قرن الشمس) فقد تحقق النور والامل والاشراق والحياة الجديدة له ولهذه الارض وبزغ الحق وانكشفت غمة الظلم، فهي كالفتاة الحيية الخجوا البكر المشرقة لنقائها وصفائها داعياً لها بالسقيا ليستمر عطاؤها وتدوم خضرتها وحياتها، فهي المُنية والهوى والحبيبة وهو الحامي والفارس والاسد المواجه لكل انواع التحدي والظلم.

التهديد والوعيد:

يتحد الشعر والشاعر في قصائد (ابن الحر) فقصائده صدى لحياته وتعبير حي عن مسيرتها، فهو الثائر، الفاتك، الساخط على الظلم والظالمين، بل هو الغاضب من بطش السلطة واعوانها وسجانيها، انه المقاتل بسيفه ولسانه المجاهد بنفسه والصابر على مالايلاقي من الضيق والضيم: (٧٧)

أقـــولُ لـــهُ صَـــبراً عُطـــيُّ فإنمـــا هـــو الســـجنُ حتـــى يجعـــل الله مخرَجـــا
أرى الـــدَّهرَ لـــي يومين:يومـــاً مُطـــرداً شـــريداً ويومـــاً فـــي الملـــوك مُتوَجـــا
أتطعـــنُ فـــي دينـــي غـــداة أتيـــتُكُمْ ولـلـــدينِ تُـــدني البـــاهليَّ وحشـــرَجا
ألـــم تـــرَ أن الملـــكَ قـــد شـــينَ وجهُـــهُ ونبـــعُ بـــلاد الله قـــد صـــارَ عَوسَـــجا

(عُطي) هنا رمزٌ ل(عطاء الله)، فهو صابر على (عطايا الله) وان كانت قليلة فلابد ان يأتي الفرج بعدها، فـ(السجن) محنته سواءً كان داخله ام خارجه فحتى حياته كانت في سجن كبير حتى يحقق حريته ويجعل الله له مخرجاً، فهو قلق في حياته غير مستقر لكنه موقن ان الدهر عنده يومين: فأما شريد في الصحراء ومطارد، واما ملك حر طليق.فهو مرة مع السلطة واخرى ضدها لكنه في كلا الحالتين يبقى على شموخه وابائه موجهاً خطابه لـ (مصعب) من سجنه مهدداً ومتوعداً: (٧٨)

ومـــا كُنـــتُ أخشـــى أنْ أرانـــي مقيـــداً علـــى غيـــر جُـــرمٍ وسْـــط بكـــر بـــن وائـــل
وألفيتنـــي يـــا ابـــن الزبيـــر كأنمـــا رُميـــتُ بســـهمٍ مـــن ســـهامكَ فاصـــلِ
فـإن أنفلـت لا تجمـع الشـمس بيننـا ولا الليـــلُ إلا فـــي القنـــا والقنابـــل

فالقيود لا تخيفه بل تزيد من عزمه واصراره على المواجهة والمعركة مع (ابن الزبير) فسواءً عفا عنه واخرجه من سجنه أو تركه في ظلمات السجن وظلامه فإن تحديه باقٍ ولن تجمع بينهما الا الرماح والطعان.

الخاتمة:

عاش (ابن الحر) لعبة الحياة في صراعها بين الكر والفر، فذاته تسعى لتحقيق هويتها مرة في تمددها وانتشارها ومرة في تكثيف نفسها، فموقف الشاعر من وجوده موقف قلق بيني فهو مرة مشرد وطريد تتجاذبه الرمال والصحراء والأودية ومرة متوجاً بملكٍ سرعان ما يزول، لكن نفسه تبقى ثائرة غاضبة على كل ما حولها من ظلم واستبداد وقهر، ساعية لتحقيق كينونتها في البطولة والمواجهة والحرية، فالذات تسعى لتحريرها من السجن والقهر والقيود التي تكبل اليدين والقدمين، قيود المجتمع وقيود السلطة وقيود السجان، فالشاعر محاط بالاغلال في كل مكان، بل حتى مكانه مقيد ومعيق لتحقيق رغباته تختفي فيه الحياة، وزمانه ثابت ساكن لاحركة فيه، لذا عاش في حالة صراع شديد، صراع مع ذاته الثائرة والطالة للتحرر، وصراع خارجي مع المجتمع والسلطة ورفضه للظلم له ولجميع الافراد العاجزين عن الوقوف امام هذه السلطة التي تنهب اموالهم وتسلبهم قوتهم وتدفعهم دفعاً للسرقة والتصعلك.و المرأة في شعره تمثل الارض والوطن المقيدين والحياة التي قد سلبت منه، والسعادة التي فقدها والامان الذي يحلم به ويسعى لتحقيقه.

ان الشاعر (عبيدالله بن الحر الجعفي) شاعر وفارس وبطل من خلال تحديه في تحقيق المجتمع الفاضل والمدينة الفاضلة، فهو حر النفس والجسد.

هوامش البحث

١) ينظر: الحياة والموت في الشعر الاموي:محمد بن حسن الزير، ٣٩١.

٢) ادب السجون في العصر العباسي: مي احمد يوسف، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج ١٠-٢٤-١٩٩٥، ص ١٠٢.

٣) ينظر، الحياة والموت في لالشعر الاموي: ٣٩١-٣٩٢.

٤) ينظر: السجون واثرها في الاداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي: د.واضح الصمد: ١٥.

٥) ينظر: م.ن: ١٥.

٦) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة سجن.

٧) ينظر: القاموس المحيط: الفيروزابادي: ٢١٣/٢.

٨) لباب الاداب: الثعالبي: تحقيق، ١٥١/١٠.

٩) ديوان الاداب: الفارابي:تحقيق، ٢٩٥/٢.

١٠) سورة الاسراء: الاية (٨).

١١) النور المبين لبيان وتفسير مفردات القران الكريم:محمد بشير الرز:٢٨٣.

١٢) كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء:ابوهلال العسكري، تحقيق:عزة حسن ٢٦٦/١.

١٣) ينظر: السياسة الجزائية:الحصري:٣٨٨.

١٤) ينظر: اوضاع السجون والسجناء في الدولة العربية الاسلامية (-٦٥٦):رائد الطائي، اطروحة دكتوراه كلية الاداب، جامعة الموصل، قسم التاريخ، ٢٠٠٩، ١٨.

١٥) ينظر: السجون في صدر الاسلام حتى نهاية العصر الاموي:خالد احمد زنيد، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، م ١٦-ع٢، ٢٠٠٠، ٣.

١٦) ينظر: تطور مفهوم السجن، ١٧.

١٧) ينظر: المفصل في تاريخ العرب:جواد علي، ٢٩٣/٥.

١٨) ينظر: مروج الذهب: المسعودي، ٧٩/١-٨٠.

١٩) ينظر:اوضاع السجون، ٣٨.

٢٠) ينظر: الرسالة الثانية: معر بن المهلهل ابو دلف:٣١.

٢١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب: ٢١٣/٥.

٢٢) ينظر: م.ن.

٢٣) ينظر: السيرة النبوية:ابن هشام:٢٧.

٢٤) سورة يوسف:الايتان ٣٢-٣٣.

٢٥) سورة الشعراء:الاية ٢٩.

٢٦) صحيح مسلم ٢١٠/٨.

٢٧) ينظر: المحاسن والاضداء: الجاحظ:٣٦.

٢٨) ينظر: اتخاذ السجن في الاسلام: حسن ابوغدة، مجلة الخفجي، ع٢، ١٩٨٧، السعودية، ٢٦.

٢٩) ينظر: معاملة المسجونين في الاسلام:ابراهيم الفحام، مجلة الوعي الاسلامي، ع ٩، ١٩٧٢، الكويت، ٥٧.

٣٠) ينظر:السجون في الاسلام:هادي الحمداني، مجلة الاستاذ، م ١٤، ع ١٤، ١٩٦٦، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٣٥.

٣١) سورة يوسف:٢٥.

٣٢) معاملة المسجونين في الاسلام:٥٩.

٣٣) سورة يوسف:الاية ١٠٠.

٣٤) ينظر: السجون في الاسلام: ١٣٦١-١٣٧٠.

٣٥) ينظر: السجون في صدر الاسلام حتى نهاية العصر الاموي:٨-٩.

٣٦) ينظر:م.ن. ١٦.

٣٧) ينظر: السجون واثرها في الاداب العربية:٩٩.

٣٨) ينظر: فلسفة المكان في الشعر العربي: ٩٤-٩٥.

٣٩) ينظر: شعرية المكان في الرواية الجديدة (الخطاب الروائي لادوار الخراط نموذجاً):خالد حسين، ٧٣، ٧٨.

٤٠) ينظر: جماليات المكان: اعتدال عثمان ٨٦-٨٧.

٤١) ينظر::ادب السجون في العصر العباسي:١٠٤.

٤٢) ينظر::السجون واثارها في الشعر الجاهلي:١٠١.

٤٣) ينظر: الحياة والموت في الشعر الاموي:٣٩٢.

٤٤) ينظر: جمهرة انساب العرب: ابن حزم: ٤١٠.

٤٥) ينظر: انساب الاشراف: البلاذري: ٥/٢٩٠.

٤٦) ينظر: لباب الاداب: اسامة بن منقذ: ١٧١.

٤٧) ينظر: جمهرة انساب العرب: ٤١٠.

٤٨) ينظر: انساب الاشراف: ٢٩٣/٥.

٤٩) تاريخ الامم والملوك: الطبري: ١٢٧/٦.

٥٠) البيان والتبيين:الجاحظ: ٢٠/١، ٢١.

٥١) عبيدالله بن الحر الجعفي بين اناشيد البطولة والام الندم:د.احمد دهمان، .٢

٥٢) الثابت والمتحول: ادونيس: ١٧٧/١.

٥٣) عبيدالله بن الحر الجعفي: ١٨.

٥٤) ينظر: السجون واثرها في الاداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي: ١٣٩.

٥٥) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الاموي: حسين عطوان.

٥٦) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الاموي: حسين عطوان:٧٨.

٥٧) ينظر: الابداع والاتباع في اشعار فتاك العصر الاموي: عبدالمطلب محمود: ٢١.

٥٨) ينظر: الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم: د.سمر الديوب:٤٦.

٥٩) ينظر: الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم: د.سمر الديوب:٤٧.

٦٠) ينظر: الفضاء الشعري عند السياب: لطيف محمد حسن: اطروحة دكتوراه –كلية الاداب: الموصل، ١٩٩٤، ٢٦.

٦١) م.ن. ٢٦.

٦٢) شعراء امويون: نوري حمودي القيسي، ٩٣.

٦٣) ينظر:الفضاء الشعري عند السياب: ٢٦.

٦٤) ينظر:الفضاء الشعري عند السياب: .٢٤

٦٥) شعراء امويون:٩٣.

٦٦) م.ن:١١١.

٦٧) ينظر: الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم:٤٧.

٦٨) شعراء امويون:٩٧

٦٩) م.ن.:٩٧

٧٠) م.ن.:٩٦

٧١) م.ن.:٩٨

٧٢) م.، ن: ٩٦

٧٣) م.، ن:١٠٨

٧٤) م.، ن:٩٥

٧٥) ينظر: الثنائيات الضدية في الشعر العربي القديم: ٥٠.

٧٦) شعراء امويون: ٩٩-١٠٠.

٧٧) م.ن:٩٧.

٧٨) م.ن.:١١١.

المصادر والمراجع

- الإبداع والإتباع في اشعر فتاك العصر الاموي:عبدالمطلب محمود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٨.
- انساب الاشراف:البلاذري، ت:لجنة باشراف: د.طه حسين، دار المعارف، مصر.
- البيان والتبيين: الجاحظ، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٦٨.
- تاريخ الرسل والملوك:الطبري، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨.
- تجربة السجن في الشعر الاندلسي: رشا الخطيب، المجمع الثقافي، ابو ظبي، ١٩٩٩.
- الثابت والمتحول –بحث في الإتباع والإبداع عند العرب: ادونيس، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣.
- الثنائيات الضدية –دراسات في الشعر العربي القديم:د.سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩.
- جماليات المكان:باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٤.
- جمهرة انساب العرب: علي بن احمد بن حزم، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، ١٩٧٩.
- الحياة والموت في الشعر الاموي: محمد بن حسن الزير، دار امية للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت.
- ديوان الادب –اول معجم عربي مرتب بحسب الابنية:الفارابي، تحقيق: احمد مختار عمر، راجعه:ابراهيم انيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، ١٩٧٥.

- الرسالة الثانية: مشعر بن المهلهل الخزرجي ابو دلف، تعليق: بطرس بولفاكوف وانس خالدوف، دار النشر للاداب الشرقية، موسكو، ١٩٦٠.
- السجون واثرها في الاداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الاموي، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.
- السياسة الجزائية:الحصري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٥.
- السيرو النبوية:ابن هشام، تعليق وضبط:محمد محي الدين عبدالحميد، مطابع المختار الاسلامي، القاهرة، د.ت.
- شعراء امويون:نوري حمودي القيسي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بغداد، ١٩٧٦.
- الشعراء الصعاليك في العصر الاموي:حسين عطوان، دار المعارف، مصر، ١٩٧٠.
- شعرية المكان في الرواية الجديدة –الخطاب الروائي لادوار الخراط نموذجاً:خالد حسين، مؤسسة اليمامة، الرياض، ٢٠٠٠.
- صحيح مسلم:اعتنى به محمد بن عيادي بن عبدالحليم –دار البيان المدنية، القاهرة، ٢٠٠٤.
- عبيدالله بن الحر الجعفي بين اناشيد البطولة والام الندم:د.احمد علي دهمان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
- فلسفة المكان في الشعر العربي:حبيب مونسي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ٢٠٠١.
- القاموس المحيط:الفيروز ابادي، دار العلم للجميع، بيروت.
- التلخيص في معرفة اسماء الاشياء: ابو هلال العسكري، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٩.

- لباب الاداب:الثعالبي، تحقيق:قحطان رشيد صالح، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.
- لسان العرب:ابن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥.
- لباب الاداب:اسامة بن منقذ، تحقيق:احمد محمد شاكر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٥.
- المحاسن والاضداد:الجاحظ، تحقيق:فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، ١٩٦٩.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر:المسعودي، تدقيق:يوسف اسعد داعر، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨١.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.
- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية: عبدالحي الكتاني، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- النور المبين وتفسير مفردات القران الكريم:محمد بشير الرز، مطابع المختار الاسلامي – القاهرة، د.ت.

الدوريات:

- اتخاذ السجن في الإسلام: حسن عبدالغني ابو غدة، مجلة الخفجي، السنة السابعة عشرة، ع٢، السعودية، ١٩٨٧.
- ادب السجون في العصر العباسي:مي احمد يوسف، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج١٠، ع٢، ١٩٩٥.
- جماليات المكان:اعتدال عثمان، مجلة الاقلام، ج٢١، ع ٢، شباط، ١٩٨٦.
- السجون في صدر الإسلام حتى نهاية العصر الاموي:خالد احمد زيند، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد١٦، ع٢٤، ٢٠٠٠.

- السجون في الإسلام:هادي الحمداني، مجلة الاستاذ، كلية التربية –جامعة بغداد، مجلد ١٤، ع١٤، ١٩٦٦.
- معاملة المسجونين في الإسلام:ابراهيم محمد الفحام، مجلة الوعي الاسلامي، السنة الثامنة، ع ٩٤، ١٩٧٢، الكويت.

الرسائل والاطاريح:

- الفضاء الشعري عند السياب:لطيف محمد حسن، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الموصل، ١٩٩٤.
- اوضاع السجون والسجناء في الدولة العربية الإسلامية (١٦-٦٥٦هـ):رائد محمد الطائي، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٠٩.

ABSTRACT

The man existence rests on transport and travel within the vast land.So, his life depends on his movement,and his end depends on his stillness. If death is a decisive end,prison is an infinite end for the achievement possibility. Thus, a man who is isolated behind the prison bars, his freedom is plundered and will is lost. Prison, as for him, is but a graveyard for he lives there in inadequate presence.Consequently,the poets expressed their prison experience with feelings within which the life senses were mixed with death ones. So, the poets' imprisonment and captivity have known since the pre-Islamic era. In the depths of the prisons,there were a group of poets who expressed their imprisonment and torture and lived under the shade of terrorism,chasing, and blockade. All that had been reflected on their literary products. Every line of poetry by the poet is but a project in a way to achieve his (ego) outside the besieged position.

Aubeidullah bin Al-Hur Al-Ja'fi is considered of the political pauper (Sa'aleek) who was moved by the disturbed political circumstances.Thus, he belonged to the group of the discontents and insurgents.He was a murderer, fighter, knight and rebel. All that appeared in his poetry that opened vast horizons to enter his intellectual and content world of creativity.Therefore his poems are characterized by talking about his intellectual and psychological feelings within prison torture, rebelling spirit,complaint from prison

difficulties,and describing prison and chains and his tenderness to his previous life.